الشباب وأزمة الاغتراب الاجتماعي

محاضرة ألقيت في منتدى الثلاثاء الثقافي بتاريخ ٩ شعبان١٤٢٦هـ الموافق ١٣ سبتمبر ٢٠٠٥م

د.عبد العزيز المصطفى
أستاذ جامعي

مما لا شك فيه أن بداية الشباب مرحلة تتسم بالحساسية، الأمر الذي يستلزم التعامل معها بحذر وذكاء شديدين حتى تتدرج في مراحلها المتقدمة بما يضمن سلامتها من كل ما من شأنه أن يجرفها عن قنواتها التي شقت لها إلى حيث ما لا تحمد عقباه من أزمات ومشكلات قد تودي بصفائها.

وإذا علمنا أن شريحة الشباب تمثل نسبة كبيرة في المجتمعات الإنسانية تتزايد حاجاتها الخاصة بها اطرادًا بازدياد نموها المتسارع، فإنه من المهم جدًّا البحث في هذه المشكلات انطلاقًا من استيعاب تامٍّ لطبيعتها وأسباب نشوئها.

والاغتراب الاجتماعي أحد هذه الأزمات التي تواجه شريحة الشباب في علاقتهم بذاتهم وبالآخرين على الصعيد الاجتماعي والنفسي والسياسي. وهو كلمة تتسع مفاهيمها باتساع هويتها ونطاقها، كونها تدور حول الشعور بعدم الانتماء وفقدان الرغبة في الحياة والإحساس بالعجز عن التوافق مع النفس أو مع الآخرين. وما يهمُّنا هنا بداية هو تعريف مفهوم الاغتراب علميًّا. فما هو الاغتراب؟

مفهوم الاغتراب

الاغتراب هو انهيار العلاقات الاجتماعية لدى الشباب نتيجة الشعور بعدم الرضا، والرفض تجاه قيم الأسرة أو المجتمع ككل. وهو

على الصعيد النفسي يفقد في الشاب الشعور بالانتماء للمجتمع بمفهوميه الشامل أو الضيق، مع ميل إلى العزلة والبعد، لشعوره بأن ما يفعله ليس له قيمة ولن يؤثر على المحيط الخارجي.

والمجتمع يفهم الاغتراب على أنه سوء تكيّف للشاب يعرِّضه لأمراض نفسية جسيمة تترجم إلى انحرافات بمسارات متعددة، من خروج على النظام، وتمرُّد وشذوذ وتعصب وعنف وإرهاب وتخريب، إلى جانب العديد من الأمراض الاجتماعية، كفقد الحس الاجتماعي والانتماء الوطني والسلبية واللامبالاة وما إلى ذلك من أمور تربطه بعدة أبعاد، أهمها:

- **العزلة الاجتماعية:** حيث يشعر الشاب بعدم وجود علاقة إيجابية بينه وبين الآخرين في المجتمع، ويلازمه شعور بالوحدة وضعف الانتماء للمجتمع وللهوية، الأمر الذي ينحى به لاعتزال هذا المجتمع الذي يفترض أن يكون فاعلًا فيه.
- **العجز:** يتعرَّض الشاب أحيانًا لبعض الضغوطات التي تفرضها طبيعة بيئته الداخلية والتي تحول بينه وبين اتخاذ القرارات المصيرية التي تحدد مستقبله، مما يشعره بالعجز وعدم القدرة على التغيير.
- **السلبية:** وهي أمر تنتجه في الغالب النظرة الأحادية للشاب تجاه ما يحدث في مجتمعه من أحداث وتداعيات تحول بينه وبين التعايش في مجتمع يتوقع له مستقبلًا سلبيًّا.
- **اللا معنى:** وفيه يحيا الشاب بلا هدف واضح السمات يمكن أن يحققه، وهذا ما يعرضه لروتين قد ينتج عنه حالات من الإحباط في حياته الشخصية أو الأسرية أو الاجتماعية، ويكون سببًا ـ هو الآخر ـ لابتعاده وعزلته.
- **الرفض:** عدم تفهم الشاب لقيم مجتمعه السائدة، التي قد يخالف الكثير منها توجهاته الفكرية والثقافية لاختلاف

الزمن الذي نشأ فيه كلاهما، الأمر الذي يسبب للشاب سخطًا وتمردًا، فيتهم مجتمعه بالرجعية التي لا تتناسب مع العصر الذي يعيش.

هذه الأبعاد، وغيرها مما يؤثر على علاقة الشباب بذاتهم ومجتمعهم تترجم صورًا لاغترابهم، لعل أهمها يكمن في التعامل العنيف لدى بعضهم مع أسرهم، من قبيل ضرب الوالدين أو الإخوان الصغار، وممارسة أشكال من العنف مع المعلمين أو أفراد المجتمع بشكل عام. كذلك عدم مراعاة الآداب العامة، كقطع الإشارات المرورية أو التجوال بالدراجات النارية على طريقة العصابات، أو ممارسة ما يعرف لدى العامة بالتفحيط. إضافة إلى التقليد الأعمى للمشاهير بصورهم المختلفة في بعض من خصوصيات مظاهرهم الشكلية، والتمرد على قيم المجتمع الدينية والاجتماعية، والعجز عن القدرة على اتخاذ القرارات المستقبلية. وهي ممارسات يشجعها عدم التكيّف مع النفس، الأمر الذي يؤدي إلى عدم قبول إمكانات هذه النفس وقدراتها، ومن ثم الإحساس بالقلق النفسي والنفور من الحياة.

والانعزال عن المجتمع يفقد الشاب حاسة التواصل والمساهمة في النظم الاجتماعية السائدة بادئًا بنفسه في القيام بتصرفات على صعيده الشخصي كالهروب من المدرسة، أو على الصعيد الاجتماعي التي تتمثل غالبًا في عدم مراعاة أوامر الدين والضوابط الشرعية التي تحترم حريات الآخرين وملكياتهم العامة.

ويجب هنا التفريق بين دوافع هذه التصرفات التي قد تكون أسبابًا عادية جدًّا كالمراهقة مثلًا، التي تعالج بشكل مختلف تمامًا عن مشكلة الاغتراب، وحتى نتمكن من التفريق بين هذه التصرفات، ينبغي لنا دراسة الأسباب التي تؤدي بالشباب إلى ممارستها، وهي تنقسم إلى قسمين، داخلية وخارجية.

والأسباب الداخلية هي المرحلة الأولى التي تمهد لنتيجة

الاغـتراب، وتكمـن في:

١. اضطـراب الهويـة التـي تتضـح تحديـدًا خـلال فـترة المراهقـة، والتـي تـؤدي إلى الاغـتراب الـذاتي الـذي ينتـج عنـه انعـدام الاسـتقرار المـادي والمعنـوي في البيئـة التـي يحياهـا، متمثلـة في الخلافـات الأسريـة الشـديدة، أو تعـرض المراهـق لعنـف يفقـده احترامـه لذاتـه أو لمجتمعـه.

٢. الـصراع بـين المتطلبـات والطمـوح في مرحلـة الشـباب وصعوبـة التعامـل مـع مـا هـو ممكـن ومـا هـو مطلـوب.

٣. غيـاب القيـم الدينيـة والإنسـانية وانعـدام القـدوة التـي تشـحذ الهمـة والطمـوح والإرادة.

أما الأسباب الخارجية، فربما اتضحت في:

١. سـيطرة الآبـاء وتدخلهـم في حيـاة الشـاب مـن منطلـق أنـه مـا زال صغـيرًا ويحتـاج إلى التوجيـه والإرشـاد، وهـذا مـا يعيـق خـبرة الشـاب المبـاشرة مـع الواقـع.

٢. الـصراع مـا بـين الشـاب والحـدث مـن حيـث السرعـة في تنفيـذ القيـم والسـلوك والعـادات والتقاليـد، وهـو مـا يعـرف بالتغيـير الاجتماعـي.

٣. عـدم شـعور الشـاب بالاطمئنـان عـلى مسـتقبله التعليمـي والوظيفـي.

٤. عدم وجود بدائل لاستثمار أوقات الفراغ.

٥. التمييـز بـين الذكـور والإنـاث أو الكبـار والصغـار، مـما يعـوق التوافـق الاجتماعـي.

٦. الـصراع الـذي يعيشـه أغلـب الطـلاب الشـباب في المـدارس هـو مـن أهـم الأمـور التـي تسـاهم في تغذيـة شـعورهم بالاغـتراب.

وأمـام هـذه الظاهـرة، تتحتـم ضرورة أن يكـون للمؤسسـة

التعليمية دور للحدّ منها، خصوصًا وأنها تتضح جليًّا في صور أهمها:

- تحديد المدرسة لحقوق الطلاب والتزاماتهم الخاصة وفق لوائح وأنظمة معينة، مما يشعرهم بأن سلطة المدرسة تمنع رغباتهم، ويكون هنا منشأ الصراع والتوتر معًا.
- تأكيد المناهج الدراسية على المهارات العقلية وإغفالها للنمو النفسي والاجتماعي، إضافة إلى غياب الصلة بين المناهج والأمور الحياتية (فصل التعليم عن المجتمع).
- اعتماد طرائق تعليمية قائمة على الحفظ والتلقين دون مراعاة للفروق الفردية بين الطلاب، ودون استثمار لدافعيتهم أو لعنصر الإثارة لديهم، الأمر الذي ينتج فيهم عزوفًا وتمردًا تجاه الدراسة.
- اقتصار المعلم على الموضوعات العلمية دون ملامسة مشكلات الطلاب الدراسية والاجتماعية، مما يحدث فجوة بين الطالب والمعلم.
- العلاقة الجامدة بين الإدارة المدرسية والمعلم نفسه، والتي تقوم على تنفيذ الأوامر دون نقاش.
- المركزية المتشددة في النظم التعليمية التي تؤدي إلى البطء في عملية تنفيذ القرارات؛ فهي لا تسمح بحرية الحركة، وتودي إلى القضاء على الابتكارات والإبداعات.

وهذه الصور إذا ما حلَّلناها، فإننا نخرج بضرورة معالجة جذرية للمشكلة ضمن استراتيجيات مدروسة تصنف ضمن عدة قنوات تصب كلها في تعزيز علاقة الشباب بمجتمعهم من أجل خلق حلقات تواصل فعالة فيه. ولا بُدَّ من تحديد أهداف ورؤى كل استراتيجية لضمان اعتماد منهجية مناسبة لتنفيذها. ولعليِّ هنا أتطرق لبعض هذه الاستراتيجيات التي أراها كفيلة بمعالجة هذه

الظاهرة بما يضمن انصهار الشباب في مجتمعهم وضمان تفاعلهم فيه:

أولًا: الاستراتيجية التعليمية

التي لا بُدَّ أن يعاد النظر بها في كافة مراحل التعليم النظامي وتطوير خططه ومناهج تدريسه وكتبه بما يتماشى مع احتياجات المجتمع وسوق العمل ومتطلبات العصر، مع مراعاة أهمية ربطها بخطط التنمية والأهداف الاستراتيجية واعتماد برامج التأهيل المستمرة للجميع، ثم التأكيد على أهمية الديمقراطية التربوية المتمثلة في الحوار والتواصل بين الطلاب والمجتمع.

ثانيًا: الاستراتيجية العلاجية

إن معالجة قضايا الطلاب عامة بشفافية وموضوعية مطلب حضاري، فهناك بعض القضايا التي لها حساسيتها في مجتمعنا السعودي بحكم الثقافة غير المطروحة للنقاش مع أهمية توعية الطالب بها، كالتطرف، والفروق العرقية والقبلية، وعدم المساواة في الفرص بين الشباب في التعليم والتوظيف. ومثل هذه الأمثلة من شأنها أن تخلق مجالًا لبعض ظواهر العنف التي يجب معالجتها بتأسيس بنية ثقافية تعزز القيم الأخلاقية في السلوك الاجتماعي، من خلال التفاعل مع الآخرين وليس من خلال القانون، لأن المنظومة الأخلاقية أوسع من القانون في الشمول وأقدر منه على الضبط.

ثالثًا: الاستراتيجية الاقتصادية

التي من شأنها توفير حياة كريمة للشباب عبر تأمين حاجاتهم المادية والروحية وتلبية طلباتهم، ولا سيما المسكن والعمل والصحة والتعليم، إضافة إلى تشجيع ودعم الشباب وخريجي الجامعات ماديًّا ومعنويًّا لمساعدتهم على إنشاء مشاريع فردية أو

أسرية، تلافيًا لمشكلة البطالة بينهم.

رابعًا: استراتيجيات الأنشطة الشبابية

من الضروري جدًّا دعم الأنشطة الشبابية وتشجيع كافة أنواع الهوايات بمختلف توجهاتها الثقافية والاجتماعية والفنية وغيرها من الأنشطة التي تشبع حاجاتهم، أسوة بالتعليم والصحة والاقتصاد، وذلك لأهميتها في تنمية قدرات وإمكانات الشباب وإكسابهم الخبرات المختلفة، بل من الضروري جدًّا زيادة الحريات الديمقراطية وتشجيع المنظمات والأندية الشبابية والاتحادات الطلابية والنقابات وكل ما يرتبط بالشباب من أنشطة ومجالات إبداعية.

خامسًا: استراتيجيات العمل التطوعي

إن شعور الطلاب الشباب بالغربة نتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية يفسر توجه بعض الأفراد نحو الانحراف والسلبية واللامبالاة والاستهتار تجاه المجتمع، لذا فإن العمل التطوعي يزيد من ارتباطهم وولائهم لمجتمعهم فضلًا عن شغله أوقات الشباب في الخير وتعزيزه للثقة في نفوسهم، الأمر الذي ينمِّي إحساسهم بقيمتهم ودورهم في بناء مجتمعهم، وتأسيس لجان تهتم بالعمل التطوعي وتنظيمه في كل مجتمع انطلاقًا من هذه الرؤى ضرورة تستلزم الاهتمام.

مُنتدى الثلاثاء الثقافي

Thulatha Cultural Forum